الرد الإيراني بالصواريخ والطائرات المسيّرة على الكيان الصهيوني بداية لتشكيل معادلات أقليمية جديدة

بقلم: الدكتور محمد رضا دهشيري (أستاذ علوم السياسة في قسم العلاقات الدولية)

مساء يوم السبت الموافق لـ(١٣/ أبريل٢٠٢٤م)، شنّت الجمهورية الإسلامية الإيرانية عملية عسكرية واسعة النطاق ضد الإحتلال الصهيوني، تحت مسمى «الوعد الصادق»، والتي تُعد نقطة تحول في تاريخ غرب آسيا، وتعتبر عملية دفاعية شاملة وفقاً للقوانين الدولية ومبادئ الدفاع عن النفس المنصوص في المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، والتي جاءت رداً على الإعتداءات المتكررة والهجمات العسكرية الصهيونية، وإنتهاكها للمعاهدات الدولية فيما يتعلق بإغتيال مستشارين عسكريين رسميين متواجدين في سوريا بدعوة من الحكومة السورية، Top of Formوالإعتداءات الأخيرة على الأماكن الدبلوماسية الإيرانية في سوريا، الهدف من هذه العمليات تحقيق الردع وتذكير العدو بمكانة وحقوق الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لمنع تكرار الإعتداءات العدوانية في المستقبل، فكان لا بد من اتخاذ إجراءات عسكرية لعرض الهيبة الإيرانية وتعزيز الردع ضد أي إعتداء جديد.

العملية التي نفذتها جمهورية إيران الإسلامية بالطائرات المسيّرة والصواريخ أظهرت أنها ما زالت تتبع سياسة دفاعية تركز على الردع من خلال أربعة عناصر رئيسية وهي: (القدرة، الإرادة، إيصال الرسائل، والتصرف العقلاني)، والهدف من الهجمة هو منع تنفيذ إعتداءات عسكرية من قبل الكيان الصهيوني، كما أن استراتيجية الردع ليست لغرض إعلان الحرب، بل لمنع وقوع الحرب والحفاظ على السلام ولإقناع الطرف الآخر بأن الحرب هي الخيار الأقل فائدة والأكثر تكلفة من بين الخيارات المتاحة، وسعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية عرض إرادتها وشجاعتها، لإيجاد الردع وتحطيم الوهم وامكانية الرد بشكل مباشر ومناسب على الكيان الصهيوني.

العملية التي نفذتها جمهورية إيران الإسلامية بالطائرات المسيّرة والصواريخ أظهرت أنها ما زالت تتبع سياسة دفاعية تركز على الردع من خلال أربعة عناصر رئيسية وهي: (القدرة، الإرادة، إيصال الرسائل، والتصرف العقلاني)، والهدف من الهجمة هو منع تنفيذ إعتداءات عسكرية من قبل الكيان الصهيوني، كما أن استراتيجية الردع ليست لغرض إعلان الحرب، بل لمنع وقوع الحرب والحفاظ على السلام

ان عملية الوعد «المحدودة والمعقدة والناجحة» من قبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أسقطت الهيبة المستمرة للعدو منذ (٧٦) عاماً، وغيرت القواعد التي كانت تحكم جميع المعادلات السابقة في المنطقة، من خلال رد فعل لائق، ومتناسب، وردعي لأعمال التطرف الصهيوني، وذلك مباشرةً من عمق الأراضي الإيرانية وسعت من خلال هذه العملية النوعية إلى تغيير قواعد اللعبة في المنطقة، وتغيير حسابات الكيان الصهيوني التي كانت تعتقد أن الهجوم هو الخيار الأفضل في مواجهة طهران.

المعنى الإستراتيجي لعملية «الوعد الصادق» الناجحة أن زمن «الصبر الإستراتيجي» في وجه التطرف الصهيوني قد ولى، وأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية حطمت

استراتيجية الكيان الصهيوني المبنية على «الحرب بين الحروب»، التي كانت تَحَكُمُ منطقتنا لفترة تقارب العقد، الآن تغيرت المعادلة الإستراتيجية: «أي هجوم أو إستهداف لقوات أو المصالح الإيرانية سيواجه بالرد المناسب والمباشر».

أظهرت عملية «الوعد الصادق» بالطائرات المسيّرة والصواريخ أن أمن وإستقرار الكيان الصهيوني لن يعود إلى ما كان عليه قبل ١٣ أبريل، بالإضافة إلى ذلك، كان الرد علاجاً لجراح الشعب الفلسطيني، وبشكل خاص لسكان غزة الذين يعيشون تحت القصف الشديد والهمجي من قبل الإحتلال الصهيوني منذ أكثر من ستة أشهر، مما أدى إلى إستشهاد أكثر من ٣٤ ألف شخص، من النساء والأطفال والشباب الفلسطينيين.

«الوعد الصادق» كان عملاً شجاعاً وحاسماً وذكياً ومحدوداً وفعالاً من قبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، و بلسماً لقلوب المظلومين في فلسطين، الذين أحتفلوا في الشوارع بعد سماعهم بأنباء الرد الإيراني ورؤية الطائرات المسيّرة والصواريخ الإيرانية في سماء فلسطين المحتلة.

في الوقت الذي أعلنت فيه الجمهورية الإسلامية الإيرانية استعدادها للرد على الهجوم الإرهابي للكيان الصهيوني على مبنى قنصليتها في سوريا، بدأت السلطة الأمريكية إلى اللجوء للتحالف مع دول أخرى على أمل إبعاد العملية الإيرانية عن الرد المؤثر، ومع ذلك قررت الجمهورية الإسلامية الإيرانية اتخاذ إجراءات رادعة لهذا الرد، بهدف معاقبة الكيان الإسرائيلي ومنعها من القيام بمثل هذه الأعمال في المستقبل.

في الحقيقة أن الكيان الصهيوني هو

المعنى الإستراتيجي لعملية «الوعد الصادق» الناجحة أن زمن «الصبر الإستراتيجي» في وجه التطرف الصهيوني قد ولى، وأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية حطمت استراتيجية الكيان الصهيوني المبنية على «الحرب بين الحروب»، التي كانت تَحَكُمُ منطقتنا لفترة تقارب العقد

المبادر للتصعيد العسكري، والإعتداء على القنصلية الإيرانية في دمشق خيرُ دليل، وهو ما أشعل فتيل التوتر، وكان يتعين على الجمهورية الإسلامية الإيرانية الرد، وأعلنت طهران من خلال الدول العربية أنّ «إذا ردّت الولايات المتحدة الأمريكية بعد رد إيران على إسرائيل بهدف توسيع الصراع، فسيتم استهداف قواعدها في المنطقة»، كانت رسالة إيران واضحة: «سنرد على أي قوى تهاجمنا، لذا لا تجبرونا على مواجهتكم» ، وكانت هذه الخطوة نوعاً من العقاب للمعتدي، على الرغم من التحذيرات الصريحة من القوى الكبرى الغربية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن هذه الخطوة، والتي تمثل «عرضاً للقوة» من الجمهورية الإسلامية الإيرانية على نطاق يفوق تصور الغرب.

قبل أن تحطم الجمهورية الإسلامية الإيرانية رادارات ونُظُم الدفاعات الجوية متعددة الطبقات للكيان الصهيوني-الأمريكي يوم السبت ١٣ أبريل، كانت قد مرت بمرحلة من الدفاع السياسي الأمريكي، الضربة التي وقعت يوم السبت كانت بمثابة تعبير عن قوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، «حجم الهجوم الصاروخي والطائرات المسيّرة من الجمهورية الإسلامية

أظهرت عملية «الوعد الصادق» بالطائرات المسيّرة والصواريخ أن أمن وإستقرار الكيان الصهيوني لن يعود إلى ما كان عليه قبل ٣١ أبريل، بالإضافة إلى ذلك، كان الرد علاجاً لجراح الشعب الفلسطيني، وبشكل خاص لسكان غزة الذين يعيشون تحت القصف الشديد والهمجي من قبل الإحتلال الصهيوني منذ أكثر من ستة أشهر، مما أدى إلى إستشهاد أكثر من ٤٣ ألف شخص، من النساء والأطفال والشباب الفلسطينيين.

الإيرانية على الكيان الصهيوني لم يسبق له مثيل في تاريخ المعارك المعاصرة»، في الواقع عملت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على تشويش وتشتيت نظام الدفاع الإسرائيلي بموجات من الطائرات المسيّرة لفتح المجال أمام الصواريخ الباليستية والكروز وضرب أهدافها. ولم تتمكن إسرائيل برغم من إستخدامها لثلاثة أنظمة لدفاعاتها الجوية متعددة الطبقات مثل: (القبة الحديدة ، مقلاع داود ، ارو(السهم)) وما عندها من الرادارات، بالإضافة إلى أنظمة الدفاعات الجوية «الأمريكية والبريطانية والفرنسية والأردنية والكردية العراقية» التي كانت لها الدور المباشر في الإبلاغ وتتبع الطائرات المسيّرة الإيرانية من صد الصواريخ الايرانية وان ، وقسم كبير من هذه الصواريخ والطائرات المسيّرة تمكنت من الوصول إلى أهدافها بدقة بعد تجاوز كل هذه الأنظمة الدفاعية.

الصواريخ المجنحة الإيرانية أصابت قواعد جوية في نواتيم (مركز قوة الجو الإسرائيلية) ورامون في جنوب فلسطين المحتلة (في منطقة النقب، التي تبتعد قليلا عن مفاعل ديمونا النووي والتي تضم طائرات إف-٣٥)، وقاعدة المراقبة الإلكترونية «مركز المعلوماتية لجهاز

الموساد» في منطقة ام الفحم (بين ميناء حيفا وتل أبيب)، وكذلك قاعدة عسكرية في حرمون الجولان (بإعتبارها القاعدة الجاسوسية التي قامت بتنفيذ الهجوم على المبنى الدبلوماسي الإيراني في دمشق).

هذا الحدث الذي لم يسبق له مثيل في العقود السبعة الماضية، وكان من الناحية التقنية والتطبيقية ومن ناحية التخطيط، ومستوى التنفيذ، يتمتع بدرجة كبيرة من التنسيق والنجاح، في إستهداف قواعد عسكرية في جنوب ووسط الأراضي المحتلة، في الوقت الذي لم ترَ إيران ضرورة لإستخدام إمكانياتها الصواريخية والطائرات المسيّرة المتطورة مثل الصواريخ فائقة الصوت وبعض الأسلحة التي لم يتم الكشف عنها بعد، وكان تخطّي الطائرات المسيّرة والصواريخ لأنظمة الدفاعات متعدد الطبقات الإسرائيلية وحلفائها حدثاً غير مسبوق ويحمل في طياته محاسابات أقليمية جديدة.

وقد قامت ايران في أول هجوم مباشر لها على اسرائيل بإطلاق أكثر من (٣٠٠) طائرة مسيّرة وصاروخ، يتضمن (١٨٥) طائرة مسيّرة، و(٣٦) صاروخ كروز، و(١٠٣) صاروخ باليستي أرض-أرض، من عمق الأراضي الجمهورية الإسلامية الإيرانية على إسرائيل بهدف عرض قدرات وإمكانيات الجمهورية الإسلامية الإيرانية العسكرية، بالإضافة إلى الإستفادة من هذه الفرصة الإستثنائية لمعرفة نقاط ضعف نظام الدفاع متعددة الطبقات الإسرائيلية وحلفائها، وكانت عملية جمع المعلومات والمعطيات مفيدة للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

كما أظهرت العملية المذكورة عجز أفضل أجهزة الرادارات التجسسية و الأنظمة الدفاعية الصاروخية المتطورة في العالم، عن مواجهة الصواريخ والمسيرات الإيرانية، وكما اختبرت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذه العملية بالتزامن «امكانياتها وقدرتها» و«القدرات الدفاعية لجهة إسرائيل». بحيث تم اعتبار

هذه العملية اكبر عملية في التاريخ بالطائرات المسيّرة والصواريخ مقابل أكبر الدفاعات الجوية ومضادات الصواريخ، وقد تم تنفيذ هذا الدفاع الصاروخي بالتعاون الواسع مع أنظمة الدفاعات الجوية الإسرائيلية وحلفائها من الدول

«الوعد الصادق» كان عملاً شجاعاً وحاسماً وذكياً ومحدوداً وفعالاً من قبل الجمهورية الإسلامية الإير انية، و بلسماً لقلوب المظلومين في فلسطين، الذين أحتفلوا في الشوارع بعد سماعهم بأنباء الرد الإير اني ورؤية الطائرات المسيّرة والصواريخ الإير انية في سماء فلسطين المحتلة.

العربية المؤيدة للتطبيع، وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة بكل قدراتهم وإمكانياتهم، اضافة الى ذلك برهن الهجوم الإيراني المباشر على تفوق القدرة الهجومية للأسلحة الايرانية مقابل القدرة الدفاعية لإسرائيل التي تحظى بالدعم الكامل الأمريكي والفرنسي والبريطاني (الناتو) والأردن.

ولو كانت إيران تسعى لقيمة عسكرية، فمن الناحية المنطقية للعمليات،كانت ملزمة بمراعاة مبدأ المفاجأة، ولكن الطائرات المسيّرة المرئية ومجموعات الطائرات المسيّرة الإنتحارية كبداية لهذه العملية تشير إلى الأهمية النفسية والسياسية لهذا العمل، كما ان ابلاغ دول المنطقة بهذه العملية قبل (٧٢) ساعة من بدء هذه العملية يبرهن في نفس الوقت على الرد المسؤول للجمهورية الإسلامية الإيرانية وقدرتها على ضبط النفس بعدم استهداف المراكز الإقتصادية أو البنى التحتية للمدن، والتركيز فقط على المواقع الأمنية والعسكرية وهذا بدوره يؤكد ايضاً على الإرادة السياسية لهذه العملية.

وهذه الدّقة في العملية ، والتفوق في اختيار الأهداف وتفادي المضادات الجوية الإسرائيلية، واستخدام مجموعة متنوعة من الصواريخ والمسيّرات، والنجاح في التخطيط الجغرافي الواسع، وإكتساب المعلومات حول نظام الدفاع الجوي الإسرائيلي والقدرة على التعامل مع التوترات الإقليمية بشكل فعال، كلها تشير الى نجاح الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تنفيذ هجومها على الكيان الصهيوني ،اذ كان الهدف من هذه العملية النوعية هو عرض وإثبات القوة الإيرانية لبعض الدول في المنطقة، بما في ذلك إسرائيل والعالم، ولأول مرة سجلت إيران مشاهد تاريخية، مثل عبور الصواريخ فوق المسجد الأقصى، ونجحت في جعل إسرائيل هدفاً وان تحطم الهيمنة الصهيونية.

واما عن تداعيات هذاالعملية العسكرية الناجحة التي شنتها ايران في ١٣ نيسان/ أبريل فنلاحظ ان هذه العملية ، أدت إلى زيادة شعبية إيران في الرأي العام في منطقة غرب آسيا بسبب إرادتها القوية ودعمها لفلسطين. وفي أعقاب هذه العملية، زاد الدعم لجمهورية إيران الإسلامية بين الفلسطينيين والمجتمعات العربية الإسلامية. ومع الهجمات المباشرة على إسرائيل، اكتسبت إيران مصداقية سياسية وأمنية جديدة ودخلت مرحلة جديدة من حياتها السياسية. ومن الآن فصاعداً، لن يكون لدى دول المنطقة فحسب، بل أيضاً لدى دول خارج المنطقة، حسابات جديدة حول الدور الذي تلعبه إيران في المعادلات الإقليمية والدولية. وفي الوقت نفسه، برزت مساحة جديدة للجهات الفاعلة الإقليمية لمواصلة اللعب في المنطقة الرمادية بمزيج من عدم التماثل والغموض والسياسات التدريجية وإبقاء صراعات المنطقة الرمادية تحت عتبة الحرب التقليدية. لقد حدد الرد الإيراني القواعد الجديدة للعبة في الشرق الأوسط وأعاد تحديد خط أحمر جديد في الحرب الباردة التي دامت ٤٥ عاماً بين إيران وإسرائيل. وبهذه الطريقة، أظهر هجوم الجمهورية الإسلامية الإيرانية حدود الردع الأمريكي، وأضعف قوة الردع الإسرائيلية، وبرهن للجميع هشاشة القدرات الدفاعية لهذا الكيان ، وأبرز حاجة هذا الكيان الغاصب إلى الاعتماد أكثر على الولايات المتحدة في الدفاع عن نفسه.